الأستاذ الدكتور:الياس مستاري

السنة الأولى ليسانس

المجموعة:ج/السداسي الثاني

المحاضرة الرابعة:أثر المعتزلة في النقد الأدبي.

كانت حرية الفكر في الإسلام سببا في تعدد الفرق وظهور المعتزلة، وهو يذهبون إلى تطبيق النصوص الدينية على الأحكام العقلية، وكان بنو العباس أميل إلى القياس والرأي، فاستفاض فيهم هذا المذهب، فثار جدل بين السنة والاعتزال في مسائل عدة. واستعين بالفلسفة اليونانية بعد الترجمة، فنشأ من ذلك علم الكلام وكان مبدأ لظهور الفلسفة العربية.

وأول ما يطالعنا من النقاد المعتزلة أبو العباس عبد الله بن محمد(ابن شرشير) ،وكان متكلما نحويا عروضيا، وقد عرف الشعر بقوله: «الشعر قيد الكلام وعقال الأدب وسور البلاغة ومحل البراعة، ومجال الجنان الغريب ومسح البيان وذريعة المتوسل ووسيلة المترسل وذمام الغريب وحرمة الأديب، وعصمة الهارب، وعذر الراهب، وقرحة المتمثل وحاكم الإعراب وشاهد الصواب» وهذا التعريف يشير إلى طبيعة الشعر، من حيث إنه مقيد بإيقاع، ولذا فهو يتطلب براعة خاصة.

فهو وسيلة الشاعر إلى استفتاح المغلق وعون للكاتب المترسل وسبيل للاعتذار، وموطن للتمثل وإيراد الشواهد النحوية واللغوية.

وكانت الدوائر الاعتزالية من أكثر المجالات اهتماما بالنقد سواء ما تناول الخطابة أو الشعر، فالجاحظ أول من تحدث عن السرقات الشعرية حين أشار إلى المعاني المشتركة، و توسع في الكلام عن الألفاظ و مخارج الحروف و كذا اللفظة الفصيحة ،وهذا ما يشير إليه نصه المشهور "المعاني مطروحة في الطريق....."، و قد أشار الجاحظ إلى صحيفة بشر بن المعتمر إشارات كثيرة، خاصة في المسائل المتعلقة بالبلاغة.

وقد اندفع المعتزلة إلى استبانة المقاييس البلاغية والنقدية لعاملين كبيرين:

أولهما: أن البلاغة عنصر هام في الإقناع، والإقناع غاية الجدل الكلامي، ولهذا كان بعض علماء المعتزلة معلمي بلاغة.كما كان سفسطائيو اليونان، وعلى هذا يظهر دور صحيفة بشر بن المعتمر، ويظهر كذلك دور المتكلمين، لأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير الخطباء، وقد شهد الجاحظ لثمامة بن أشرس المعتزلي بقوله: «وما عملت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما قد بلغه...».

وقد قررت صحيفة بشر بن المعتمر أشياء أصبحت مشتركة بين نقد الخطابة ونقد الشعر، منها اعتبار اللحظات التي يسمح فيها التحول والابتعاد عن الكد والاستكراه، والملائمة في اللفظ والمعنى.

فالمعنى الكريم يحتاج إلى لفظ كريم، والبليغ التام من استطاع أن يفهم العامة معاني الخاصة، ثم لابد من الملائمة بين المعنى والمستمعين، فكل طبقة كلام. ولكل حالة مقام.

وأصبح التناسب بين المعاني والمستمعين هو مدار القبول في البلاغة الخطابية، ومنه استمد تعريف البلاغة وأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وهذا المبدأ هو بداية الصحيفة الهندية التي أكدت على التناسب في الألفاظ والمعاني وعدم مخاطبة الملوك بكلام السوقة.

ثانيهما: إيمان المعتزلة –على الرغم من دراستهم للثقافات الأجنبية وتأثرهم بها –أن الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها، مصدر لأنه يتسع لدراسة معارف في الحيوان، والنبات، والأتربة.. ووعاء لأنه مكن بشر بن المعتمر من أن ينظم قصائد في الحيوان، ويمنح الناشئ وسيلة صالحة ليتحدث عن أنواع المعارف في أربعة آلاف بيت ويتيح لصفوان الأنصاري شاعر المعتزلة أن يتحدث عن خيرات الأرض.

كل هذا يمنح أصحابه قوة في وقفتهم ضد الشعوبية والقول بأن القرآن معجز في النظم، وتمسكم بالطريقة التقليدية في بناء القصيدة، وهذا دفاع عن الموروث العربي.

وكانت هذه الموجة الاعتزالية أكبر قوة فاعلة في تطور النقد الأدبي أثناء القرن الثالث، وكذا المتأثرين بها، فقد أخذ ابن قتيبة السني مبادئ صحيفة بشر بن المعتمر والصحيفة الهندية من حديث حول اللفظ والمعنى ومراعاة نفسية السامعين.

ولا يمكن اقتصار الحديث عن بشر بن المعتمر والجاحظ ،بل هناك من دافع عن اللغة العربية و رد على الشعوبية كالزمخشري الذي كان إماما في البلاغة، و تأثر به السكاكي صاحب مفتاح العلوم،و نذكر كذلك المرزباني و الرماني و غيرهم.

وكذا أخذ المبرد مفهوماته عن الاستعانة والتشبيه والإيحاء من المدرسة الاعتزالية ومبادئها البلاغية. وأقبل ابن المعتز على بيان الجاحظ فاستخرج منه مبحثه في البديع واستعار مصطلحه عن المذهب الكلامي، وهو نوع من البديع نشأ في جو اعتزالي.